

مختصر ابن كثير

71 - يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتىلا .

- 72 - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة : أي بنبيهم وهذا كقوله : { ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط } الآية وقال بعض السلف : هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن أممهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد : بكتابهم الذي أنزل على نبيهم واختاره ابن جرير وروي عن مجاهد أنه قال : بكتبهم فيحتمل أن يكون أراد ما روي عن ابن عباس في قوله : { يوم ندعوا كل أناس بإمامهم } أي بكتاب أعمالهم (وهو قول أبي العالية والحسن والضحاك) وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى : { وكل شيء أحصيناه في إمام مبين } وقال تعالى : { ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه } الآية ويحتمل أن المراد { بإمامهم } أي كل قوم بمن يأتون به فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال : { وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار } . وفي الصحيحين : " لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت " الحديث وقال تعالى : { هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون } . وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم بين أمته فإنه لا بد أن يكون شاهدا على أمته بأعمالها كقوله تعالى : { وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء } .

وقوله تعالى : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى : { يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم } أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرؤه ويحب قراءته كقوله : { فأما من أوتى كتبه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه } الآيات وقوله تعالى : { ولا يظلمون فتىلا } الفتيل : هو الخيط المستطيل في شق النواة عن أبي هريرة B عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : { يوم ندعوا كل أناس بإمامهم } قال : " يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلأأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم أتنا بهذا وبارك لنا في هذا فيأتيهم فيقول لهم : أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافرون فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من هذا أو من شر

هذا اللهم لا تأتنا به فيأتيهم فيقولون : اللهم اخزه فيقول : أبعدم اؑ فإن لكل رجل منكم مثل هذا " (أخرج الحافظ أبو بكر البزار) . وقوله تعالى : { ومن كان في هذه أعمى { أي في الحياة الدنيا { أعمى } أي عن حجة اؑ وآياته وبينانه { فهو في الآخرة أعمى { أي كذلك يكون { وأضل سبيلا { أي وأضل منه كما كان في الدنيا عيادا باؑ من ذلك